عبقرية تصنيف العلوم وتبويبها من خلال مقدمة كتاب «كشف الظنون» لحاجي خليفة

Mehmet AYDIN[1]

Öz

Keşfu'z-Zünûn Adlı Eserin Mukaddimesinde Hacı Halife'nin İlimleri Gruplara ve Sınıflara Ayırmasındaki Üstün Dehası

Bu çalışma, Keşfu'z-Zünûn adlı kitabın mukaddimesini ele almaktadır. Bu kitabın müellifi Hacı Halife (1067/1656)'nin ilimlerin konularını tarif etmekteki ilmi dehasını gözler önüne sergilemektedir. Bu çalışmada Hacı Halife'nin, dini ve dini olmayan, teorik ve teorik olmayan ilimler gibi farklı yönleri nazari dikkate alarak, ilimleri tasnifteki ve kısımlara ayırmadaki metodunu ortaya koymaya çalıştım.

Anahtar Kelimeler: Tasnif, Sınıflandırma, Konular, Prensipler, İlimler.

Abstract

The Genius classification of science through the introduction of "khashif al dhonoon" by Haji Khalifa

This study deals with introduction of the book "khashif al dhonoon an asaami alkootob wa alfnoon" by highlighting the genius Haji Khalifa (T:1067AH/1656 AD) in his definition of science subjects, I have shown in this study Haji Khalifa's methodology in the classification of science and classifying through different considerations such as religious and non religious ; theoretical and scientific.

Key words: classification, themes , principles , Science

1 Prof.Dr. Muhammed Aydın, Qatar Üniversity, College Of Sharia

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

هذا البحث المتواضع صورة واضحة لجهود حاجي خليفة العالم الموسوعي الذي تفنن في تعريف العلوم وتصنيفها وتبويبها.[2]

ويعد كتابه كشف الظنون وثيقةً على درجة كبيرة من الأهمية في معرفة تصنيف العلوم وتبويبها، حيث قام رحمه الله تعالى في مقدمة هذا الكتاب بتعريف العلوم وتصنيفها، ونلاحظ أيضا من خلال هذه المقدمة أن حاجي خليفة كما تأثر بطاش كبري زاده (ت 968ه/1560م) أثّر هو في أبي الطيب محمد صديق خان القنوجي (ت:1307هـ/1889م) تأثيرا كبيرا في كتابه «أبجد العلوم»، حيث إن معلوماته في تعريف العلوم وتصنيفها كأنها طبق الأصل من كتاب حاجي خليفة كتابه كشف الظنون وثيقةً على درجة كبيرة من الأهمية في معرفة تصنيف العلوم، حيث قام في مقدمة هذا الكتاب بتعريف العلوم وتصنيفها.

هدف هذا البحث: هو لفت النظر إلى التعرف على طريقة تصنيف العلوم عند المسلمين، وكيفية طريقتهم في تصنيفها وتبويبها من خلال مقدمة كشف الظنون لحاجي خليفة رحمه الله، وأهمية مقدمة كتاب كشف الظنون في تعريف موضوعات العلوم.

ولأهمية مقدمة كشف الظنون لحاجي خليفة من النواحي المذكورة رأيت من الواجب أن أكتب حول هذا الموضوع، وجعلت بحثي يتكون من مقدمة ومبحثين على النحو الآتي:

وفي المبحث الأول تناولت تعريف العلم وماهيته، ثم تكلمت عن مبادئ العلوم ومسائلها كما يصورها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون.

وخصصت المبحث الثاني لمنهج حاجي خليفة في تصنيف العلوم باعتبارات مختلفة، فجعلت هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول: المنهج الذي اتبعه في تصنيف العلوم.

المطلب الثاني: تصنيف العلوم باعتبار كونها شرعية وغير شرعية.

المطلب الثالث: تصنيف العلوم باعتبار كونها نظرية وعملية.

المطلب الرابع: تصنيف العلوم باعتبارها مقصودا لذاتها، وباعتبارها غير مقصود لذاتها.

2 أصل هذا البحث قدم في مؤتمر دولي بعنوان "حاجي خليفة: البليوغرافيا وتصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية، الرؤية التاريخية وأسئلة العصر"، 8-6 آذار 2015م، اسطنبول، إلا أنه لم ينشر، ورأيت من المناسب إعداده للنشر في مجلة محكمة لتعم الفائدة.

المطلب الخامس: مدى تأثر حاجي خليفة في تصنيف العلوم من طاش كبري زادة.

التمهيد

علم الفهرسة من أهم العلوم، حيث إنه تُجمَع فيه أسماء الكتب أو العلوم أو المؤلفين، كما أنه يقوم بحصر المعلومات والمواضيع والمسائل بصور شتى، ويرتبها ترتيباً خاصاً حتى يتمكن المرء من الوصول إليها عند اتباع المنهج الخاص بالفهرس.

واهتم المسلمون بهذا الجانب وبموضوع تعريف العلوم وتصنيفها، وذلك للتعرف على صلة العلوم وارتباطها فيما بينها، إلا أنه من المؤسف أن البعض يعتقد أن المسلمين أخذوا تصنيف العلوم عن اليونان بشكل عام وعن أرسطو بشكل خاص.

بينما نجد أن الفكر الإسلامي قد بدأ نتاجه الفكري في مجال تصنيف العلوم قبل أن تصل كتب أرسطو إلى بلاد الإسلام وقبل أن تترجم، فنجد أن هناك العديد من الحكماء المسلمين قد وضعوا تصانيف للعلوم ومنذ بدايات القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

المبحث الأول: تعريف العلم وماهيته، وموضوعه وطريقة معرفته، ومبادئ العلوم ومسائلها كما يصورها حاجي خليفة

المطلب الأول: تعريف العلم وماهيته

معنى العلم لغة

وردت كلمة العلم في اللغة بمعاني كثيرة منها (الشُّعور، الأثر، العلامة... الخ) وقالوا عنها: «سمي العلْمُ علمًا من العلامة، وهي الدلالة والإشارة، ومنه مَعَالم الأرض والثوب. والمَعلَمُ: الأثر يستدل به على الطريق.[3]

معنى العلم اصطلاحا

للعلماء عبارات مختلفة في تعريف العلم، وذكر حاجي خليفة خمسة عشر تعريفا، أذكر هنا بعضها[4]:

التعريف الأول: اعتقاد الشيء على ما هو به.

الثاني: معرفة العلوم على ما هو به،

الثالث: العلم: هو الذي يوجب كون من قام به عالما،

الرابع: هو إدراك المعلوم على ما هو به،

3 ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (علم)؛ الفيومي، المصباح المنير، 427/2.
4 حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 4/1.

الخامس: هو ما يصح ممن قام إتقان الفعل.

السادس: تبيين المعلوم على ما هو به،

السابع: إثبات المعلوم على ما هو به.

الثامن: اعتقاد جازم مطابق لموجب عن ضرورة، أو عن دليل، فهذا التعريف: للفخر الرازي.

التاسع: حصول صورة الشيء في العقل.

قال ابن صدر الدين: هو أصح الحدود عند المحققين من الحكماء، وبعض المتكلمين.

العاشر: هو صفة توجب لمحلها، تمييزا بين المعاني، لا يحتمل النقيض، وهو: الحد المختار عند المتكلمين.

والحادي عشر: حصول معنى في النفس، حصولا لا يتطرق عليه في النفس احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل فيه.

وهذا التعريف لعلي بن محمد الآمدي (ت631هـ/1233م) في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام»، حيث يقصد بحصول المعنى في النفس: تميزه في النفس عما سواه.[5]

في الحقيقة أن حاجي خليفة قد اطال في »مقدمة كشف الظنون» في تعريفات العلم إطالة حسنة ليس غرضنا في هذا المقام هو إيراد كل التعريفات، فالذي يريد الزيادة فمن الممكن أن يرجع إليها.

نرى أن حاجي خليفة يعلق على معظم التعريفات لعدم شمولها لبعض أقسام العلم، فيمكن أن نستخلص من التعريفات المذكورة فنقول: إن العلم هو إدراك الشيء المعلوم على ما هو عليه إدراكاً حقيقياً مطابقاً للواقع.

ماهية العلم

ذكر حاجي خليفة أنه حصل اختلاف في أن العلم بالشيء هل يستلزم وجوده في الذهن، كما هو مذهب الفلاسفة وبعض المتكلمين، أو هو تعلق بين العالم والمعلوم في الذهن، كما ذهب إليه جمهور المتكلمين.[6]

ثم إنه على الأول لا نزاع في أنا إذا علمنا شيئا، فقد تحقق أمور ثلاثة: صورة حاصلة في الذهن، وارتسام تلك الصورة فيه، وانفعال النفس عنها بالقبول.

5 الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، 1/ 11.
6 حاجي خليفة، كشف الظنون، 5/1.

من القائلين بالوجود الذهني من قال: إن الحاصل في الذهن إنما هو شبَح[7] للمعلوم، وظل له، مخالف إياه بالماهية.

ومنهم من قال: الحاصل في الذهن، هو نفس ماهية المعلوم، لكنها موجودة بوجود ظلي غير أصلي، وهي باعتبار هذا الوجود تُسمى: صورة، ولا يترتب عليها الآثار؛ كما أنها باعتبار الوجود الأصلي تُسمى: عينا، ويترتب عليها الآثار؛ فهذه الصورة إذا وجدت في الخارج، كانت عين العين، كما أن العين إذا وجدت في الذهن كانت عين الصورة، أي: شبَح قائم بنفس العلم، به ينكشف المعلوم، وهي: العلم؛ وذو صورة، أي: ماهية موجودة في الذهن، غير قائم به، وهي: المعلوم؛ وهما: متغايران بالذات.

وبعض المدققين: جوز تبدل الماهية، بأن يكون الشيء في الخارج جوهرا، فإذا وجد في الذهن انقلب كيفا.

واختلف في أن تصور ماهية العلم المطلق هل هو ضروري يتصور ماهيته بالكنه فلا يحد، أو نظري يعسر تعريفه، أو نظري غير عسير التعريف؟

والأول الذي هو أنّ العلم أمر ضروري، وهو مستغن عن التعريف مذهب الإمام الرازي (ت:606هـ/1209م)، والثاني الذي هو أن العلم أمر نظري يعسُر تعريفُه بعبارة محررة جامعة للجنس والفصل الذاتيين رأيُ إمام الحرمين الجويني (ت:478هـ/1085م) وأبي حامد الغزالي (ت:505هـ/1111م)،[8] ورجح صاحب كشف الظنون الرأي الثالث الذي هو أن العلم هو نظري غير عسير التعريف.

وفي هذا الصدد أرى أن أنقل المراد من ماهية العلم كما يصورها الرازي في تفسيره: مفاتيح الغيب حيث قال: والحق أن ماهية العلم متصورة تصورا بديهيا جليا، فلا حاجة في معرفته إلى معرِّف، والدليل عليه أن كل أحد يعلم بالضرورة أنه يعلم وجود نفسه وأنه يعلم أنه ليس على السماء ولا في لجة البحر، والعلم الضروري بكونه عالما بهذه الأشياء علمٌ باتصاف ذاته بهذه العلوم، والعالمُ بانتساب شيء إلى شيء عالم لا محالة بكلا الطرفين، فلما كان العلم الضروري بهذه المنسوبية حاصلا كان العلم الضروري بماهية العلم حاصلا وإذا كان كذلك كان تعريفه ممتنعا.[9]

المطلب الثاني: موضوع العلم وطريقة معرفته

إن لفظ العلم كما يطلق على ما ذكر، يطلق على ما يرادفه، وهو أسماء العلوم المدونة: كالنحو، والفقه، فيطلق كأسماء العلوم تارة: على المسائل المخصوصة، كما يقال: فلان يعلم

7 أي ظله وامتداده، فانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/240؛ المعجم الوسيط، 1/470.
8 الغزالي، **المستصفى**، 21/1.
9 الرازي، التفسير الكبير، 420/2

النحو، وتارة: على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة: على الملكة الحاصلة من تكرار تلك التصديقات..

وقد يطلق على: مجموع المسائل، والمبادي التصورية، والمبادي التصديقية، والموضوعات. ومن ذلك يقولون: أجزاء العلوم ثلاثة.

إن السعادة الإنسانية لما كانت منوطة بمعرفة حقائق الأشياء، وأحوالها بقدر الطاقة البشرية، وكانت الحقائق وأحوالها متكثرة متنوعة، تصدى الأوائل لضبطها، وتسهيل تعليمها، فأفردوا الأحوال الذاتية المتعلقة بشيء واحد، أو بأشياء متناسبة، ودوَّنوها على حدة، وعدُّوها علما واحدا، وسموا ذلك الشيء أو الأشياء موضوعا لذلك العلم، لأن موضوعات مسائله راجعة إليه.

موضوع العلم: ما تنحل إليه موضوعات مسائله، وهو المراد بقولهم في تعريفه: بما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، فصار كل طائفة من الأحوال بسبب تشاركها في الموضوع: علما منفردا ممتازا بنفسه عن طائفة متشاركة في موضوع آخر، فتمايزت العلوم في أنفسها بموضوعاتها، وهو تمايز اعتبروه مع جواز الامتياز بشيء آخر: كالغاية والمحمول.

وسلكت الأواخر أيضا هذه الطريقة الثانية في علومهم، وذلك أمر استحسنوه في التعليم والتعلم، وإلا فلا مانع عقلا من أن يعد كل مسألة علما برأسه، ويفرد بالتعليم والتدوين، ولا من أن يعد مسائل متكثرة غير متشاركة في الموضوع علما واحدا، يفرد بالتدوين، وإن تشاركت من وجه آخر، ...فعلم أن لكل علم موضوعا وغاية، وكل علم له جهة وحدة، تضبط تلك المسائلَ المتكثرة، وتعد باعتبارها علما واحدا.

فيقال في تعريف المنطق مثلا: علم يبحث فيه عن أحوال المعلومات، وتارة باعتبار الغاية، فيقال في تعريفه: آلة قانونية تعصم مراعاتُها الذهن عن الخطأ في الفكر.

إن الأحوال المتعلقة بشيء واحد، أو بأشياء متناسبة تناسبا معتدا به، إما في أمر ذاتي: كالخط، والسطح، والجسم التعليمي، المتشاركة في مطلق المقدار، الذي هو ذاتي لها كعلم الهندسة، أو في أمر عرضي: كالكتاب والسنة والإجماع والقياس، المتشاركة في كونها موصلةً إلى الأحكام الشرعية كعلم أصول الفقه، فتكون تلك الأحوال من الأعراض الذاتية التي تلحق الماهية من حيث هي، لا بواسطة أمر أجنبي.

هل يجوز أن يكون موضوع علم موضوع علم آخر، وأن يكون أخص منه أو أعم؟

إن موضوع علم يجوز أن يكون موضوع علم آخر، وأن يكون أخص منه أو أعم، وأن يكون مباينا عنه، فهذه: ستة أقسام:

الأول: أن يكون موضوع علم عين موضوع آخر، فيشترط أن يكون كل منهما مقيدا بقيد غير قيد الآخر، وذلك كأجرام العالم، فإنها من حيث الشكل: موضوع علم الهيئة، ومن حيث الطبيعة: موضوع لعلم السماء والعالم، فافترقا بالحيثيتين.

الثاني، والثالث: أن يكون موضوع علم أخص من علم آخر، أو أعم منه، فالعموم والخصوص بينهما إما على وجه التحقيق، بأن يكون العموم والخصوص بأمر ذاتي له، مثل كون العام جنسا للخاص، أو بأمر عرضي.

الرابع: أن يكون الموضوعان متباينين، لكن يندرجان تحت أمر ثالث، كموضوع الهندسة والحساب، فإنهما داخلان تحت الكم، فيسميان متساويين.

الخامس: أن يكونا مشتركين بوجه دون وجه، مثل موضوعي: الطب والأخلاق، فإن لموضوعيهما اشتراكا في القوى الإنسانية.

السادس: أن يكون بينهما تباين كموضوع الحساب والطب، فليس بين العدد وبدن الإنسان اشتراك، ولا مساواة.[10]

المطلب الثالث: مبادئ العلوم كما يصورها حاجي خليفة

مبادئ العلوم هي: المعلومات المستعملة في العلوم، لبناء مطالبها المكتسبة عليها، وهي إما: تصويرية، كحدود موضوعه، وحدود أجزائه، وجزئياته، ومحمولاته، إذ لا بد من تصور هذه الأمور بالحد المشهور، وإما: تصديقه، وهي القضايا المتألِّفة عنها قياساتُها، وهي على قسمين:

الأول: أن تكون بينة بنفسها، وتسمى (المتعارفة)، وهي: إما مبادئ لكل علم، كقولنا: النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان.

الثاني: أن تكون غير بينة بنفسها، لكن يجب تسليمها، ومن شأنها أن تبيَّن في علم آخر، وهي مسائل بالنسبة إلى ذلك العلم الآخر، والتسليمُ إن كان على سبيل حسن الظن بالعلم يسمى: (أصولا موضوعة) كقول الفقيه: هذا حرام بالإجماع، فكون الإجماع حجة من الأمور المسلمة في الفقه، لأنها من مسائل الأصول، وإن كان على استنكار يسمى: (مصادرات)، ويجوز أن تكون المقدمة الواحدة عند شخص من المصادرات، وعند آخر من الأصول الموضوعة،

وقد تسمى الحدود والمقدمات المسلمة: (أوضاعا)، وكل واحد منها: يكون مسائل في علم آخر فوقه إلى الأعلى، لكن يجوز أن يكون بعض مسائل العلم السافلِ موضوعا وأصولا للعلم العالي.

10 حاجي خليفة، كشف الظنون، 8/1؛ القِنوجي، محمد صديق خان، أبجد العلوم، 40/1.

وأيضا لا يجوز أن يثبت شيء من المقدمات الغيرِ البينة من الأصول الموضوعة والمصادرات، بالدليل إن توقف عليها جميع مقاصد العلوم للدور، فإن توقف عليها بعض مقاصدها فيمكن بيانها في ذلك العلم، والأول: يسمى: (المبادئ العامة) ككون النظر مفيدا للعين؛ والثاني: (المبادئ الخاصة)، كإبطال الحسن والقبح العقليين.

المطلب الرابع: مسائل العلوم كما يصورها حاجي خليفة

مسائل العلوم هي: القضايا التي تطلَب في كل علم نسبةُ محمولاتها بالدليل إلى موضوعاتها...، فتكون المسائل موضوع العلم.

وموضوع المسألة قد يكون بنفسه موضوعا لذلك العلم، كقول النحوي: كل كلام مركب من: اسمين، أو اسم وفعل، فإن الكلام هو موضوع النحو أيضا.

وقد يكون موضوع المسألة: نوعَ موضوع العلم، كقولنا في الصرف: الاسم: إما ثلاثي، وإما زائد على الثلاثي، فإن موضوع العلم: الكلمة، والاسم نوعه؛ وقد يكون موضوع المسألة: عرضا ذاتيا لموضوع العلم، كقولنا في الهندسة: كل مثلث زواياه مساوية لقائمتين، فالمثلث من الأعراض الذاتية للمقدار.[11]

المبحث الثاني: منهجية حاجي خليفة في تصنيف العلوم باعتبارات مختلفة

المطلب الأول: المنهج الذي اتبعه في تصنيف العلوم

حاجي خليفة رتب كتابه كشف الظنون على الحروف المعجمة.

وراعى في حروف الأسماء إلى الثالث والرابع ترتيبا؛ فكل ما له اسم ذكره في محله، مع مصنفه، وتاريخه، ومتعلقاته، ووصفه، تفصيلا وتبويبا؛ وربما أشار إلى ما روي عن الفحول من الرد والقبول، وأوردت أيضا أسماء الشروح والحواشي، لدفع الشبهة ورفع الغواشي، مع التصريح بأنه شرح كتاب فلاني، وأنه سبق أو سيأتي في فصله؛ بناء على أن المتن أصل، والفرع أولى أن يذكر عقيب أصله.[12]

وما لا اسم له، ذكره باعتبار الإضافة إلى الفن، أو إلى مصنفه في باب التاء، والدال، والراء، والكاف، برعاية الترتيب في حروف المضاف إليه، مثل (تاريخ ابن الأثير)، و(تفسير ابن جرير)، و(ديوان المتنبي)، و(رسالة ابن زيدون)، و(كتاب سيبويه).

وأورد القصائد في: القاف، وشروح الأسماء الحسنى: في الشين؛ وما ذكره من كتب الفروع قيده بمذهب مصنفه على اليقين؛ وما ليس بعربي قيده بأنه تركي، أو فارسي، أو مترجم، ليزول به

11 حاجي خليفة، كشف الظنون، 9/1؛ القِنوجي، محمد صديق خان، أبجد العلوم، 42/1.
12 حاجي خليفة، كشف الظنون، 9/1.

الإبهام؛ أو أشار إلى ما رآه من الكتب، بذكر شيء من أوله؛ وهو أعين على تعيين المجهولات، ودفع الشبهة.

إن أسماء العلوم فذكرها حاجي خليفة باعتبار المضاف إليه؛ فعلم الفقه مثلا في الفاء، وما يليه كما نبه عليه، مع سرد أسماء كتبه على الترتيب المعلوم، وتلخيص ما في كتب موضوعات العلوم: كمفتاح السعادة.

وربما ألحق عليها علوما وفوائد من أمثال تلك الكتب بالعزو إليها.

وأورد مباحث الفضلاء وتحريراتهم بذكر ما لها، وما عليها

وقام رحمه الله بتقسيم العلوم بتقسيمات أخرى أيضا معتبرة وببيان أقسامها إجمالا، وقال:

إن العلم ينقسم إلى أقسام كثيرة من جهات مختلفة.

فينقسم من جهة إلى قديم ومحدث.

ومن جهة متعلقه إلى تصور وتصديق.

ومن جهة طرقه إلى ثلاثة أقسام:

قسم: يثبت في النفس.

وقسم: يدرك بالحس.

وقسم: يعلم بالقياس.

المطلب الثاني: تصنيف العلوم باعتبار كونها شرعية وغير شرعية

لعل أشهر تقسيم للعلوم لدى علماء التصنيف المسلمين هو القسمة الثنائية المشهورة التي تفصل بين العلوم العقلية والعلوم النقلية، أو بين العلوم الشرعية والعلوم الحكمية (نسبة إلى الحكمة أي الفلسفة). ولقد تعددت المصطلحات الدالة على هذه القسمة لتشمل ـ على سبيل المثال العلوم الشرعية في مقابل العلوم غير الشرعية عند الإمام الغزالي، أو علم الدين وعلم الدنيا عند جابر بن حيان (ت:197هـ/812م)، أو العلوم الحكمية الفلسفية والعلوم النقلية الوضعية عند ابن خلدون (ت:808هـ/1406م).

وقد رتب حاجي خليفة كشف الظنون على حروف المعجم، وفي مقدمة الكشف تطرق إلى تقسيم العلوم فقال: إن العلوم المدونة تنقسم قسمين:

الأول: ما دونه المتشرعة، لبيان ألفاظ القرآن، أو السنة النبوية، لفظا وإسنادا، أو لإظهار ما قصد القرآن من التفسير والتأويل، أو لإثبات ما يستفاد منهما، أعني: الأحكام الأصلية الاعتقادية، أو الأحكام الفرعية العملية، أو تعيين ما يتوصل به من الأصول في استنباط تلك الفروع، أما ما

دُوِّن لمدخليته في استخراج تلك المعاني من الكتاب والسنة، أعني: الفنون الأدبية.

الثاني: ما دوَّنه الفلاسفة لتحقيق الأشياء كما هي، وكيفية العمل على وفق عقولهم.

ثم قال رحمه الله: هذا هو المشهور عند الجمهور.

وقد بين حاجي خليفة أن هناك بعض العلوم التي لا تستجيب لهذه القسمة كعلم المناظرة وعلم الجدل وعلم الخلاف، ولذلك لم يظهر له إدراجها ضمن علوم المتشرعة أو ضمن علوم الفلاسفة.[13]

ومن ناحية أخرى قسم العلوم إلى الدينية وغير الدينية فقال:

الأول: العلوم الدينية، ويقال لها: الشرعية أيضا.

والثاني: العلوم الغير الدينية، كالطب لكونه ضروريا في بقاء الأبدان، والحساب لكونه ضروريا في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث.

ثم بعد أن ذكر أن هذه العلوم محمودة قال: إن لم يكن للعلم عاقبة حميدة فمذموم، كعلم السحر، والطلسمات، والشعبذة، وإن لم يكن للعلم عاقبة حميدة أو مذمومة فهو مباح، كعلم الأشعار التي لا سخف فيها، وكتواريخ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، وما يجري مجراها.

وهذا التفاوت بالنسبة إلى الغايات، وإلا فالعلم من حيث إنه علم فضيلة لا تنكر ولا تذم، فالعلم بكل شيء أولى من جهله.

ثم ذكر العلوم الشرعية فقال: هي: علم القراءة، علم تفسير القرآن، علم رواية الحديث، علم دراية الحديث، علم أصول الدين، المسمى: بالكلام، علم أصول الفقه، علم الفقه.

وجعل من فروع القراءة: علم الشواذ[14]، علم مخارج الحروف، علم مخارج الألفاظ، علم الوقوف على علل القراءات، علم رسم كتابة القرآن، علم آداب كتابة المصحف.

وجعل من فروع الحديث: علم شرح الحديث، علم أسباب ورود الحديث وأزمنته، علم ناسخ الحديث ومنسوخه..، علم غرائب لغات الحديث، علم دفع الطعن عن الحديث..، علم أحوال رواة الأحاديث، علم طب النبي – عليه الصلاة والسلام –.

وجعل من فروع التفسير: علم المكي والمدني...، علم أول ما نزل وآخر ما نزل، علم سبب النزول...، علم ما تكرر نزوله...، علم ما نزل مفرقا وما نزل جمعا...، علم أسماء القرآن وأسماء سوره، علم جمعه وترتيبه، علم عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه...، علم آداب تلاوته وتاليه، علم جواز الاقتباس، علم غريب القرآن...، علم الوجوه والنظائر، علم معاني الأدوات

13 حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 11/1.
14 أي علم شواذ القراءات.

التي يحتاج إليها المفسر، علم المحكم والمتشابه...، علم مناسبة الآيات والسور، علم الآيات المتشابهات، علم إعجاز القرآن...، علم مبهمات القرآن، علم فضائل القرآن...، علم شروط المفسر وآدابه...[15]

المطلب الثالث: تصنيف العلوم باعتبار كونها نظرية وعملية

ذكر حاجي خلفة للعلم تقسيما آخر فقال: أن للعلوم تقسيمين مشهورين:

أحدهما: أن العلوم: إما نظرية: أي غير متعلقة بكيفية عمل، وإما عملية: أي متعلقة بها.

ثم إن النظري والعملي، يستعملان في معان ثلاثة:

أحدهما: في تقسيم مطلق العلوم.

فالمنطق، والحكمة العملية، والطب العملي، وعلم الخياطة، كلها: داخلة في العملي المذكور، لأنها بأسرها متعلقة بكيفية عمل، إما ذهني: كالمنطق، أو: خارجي: كالطب مثلا.

وثانيها: في تقسيم الحكمة، فإنهم بعد ما عرفوا الحكمة: بأنه علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية، قالوا: تلك الأعيان، أما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا أولا، فالعلم بأحوال الأول من حيث يؤدي إلى صلاح المعاش والمعاد يسم: (حكمة عملية)، والعلم بأحوال الثاني: يسمى: (حكمة نظرية) .

وثالثها: ما ذكر في تقسيم الصناعة، أي: العلم المتعلق بكيفية العمل من أنها إما عملية، أي: يتوقف حصولها على ممارسة العمل، أو نظريةٌ: لا يتوقف حصولها عليها، فالفقه والنحو، والمنطق، والحكمة العملية، والطب العملي خارجة عن العملية بهذا المعنى، إذ لا حاجة في حصولها إلى مزاولة الأعمال بخلاف علم الخياطة، والحياكة، والحجامة، لتوقفها على الممارسة والمزاولة.[16]

المطلب الرابع: تصنيف العلوم باعتبار ها مقصودا لذاتها، وباعتبارها غير مقصود لذاتها

إن كل علم إما أن يكون مقصودا لذاته، أو لا يكون مقصودا لذاته.

والأول: العلوم الحكمية، وهي: إما أن تكون مما يعلم لتعتقد، فالحكمة النظرية مثل العلم الإلهي، أو مما يعلم ليعمل بها، فالحكمة العملية مثل علم السياسة وعلم الأخلاق.

والثاني: وهو ما لا يكون مقصودا لذاته، بل آلة يطلب بها العصمة من الخطأ في غيرها، فهو إما ما يطلب عن الخطأ فيه من المعاني، أو ما يتوصل به إلى إدراكها من لفظ أو كتابة.

15 ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 1/27-31.
16 حاجي خليفة، كشف الظنون، 11/1.

وقد توسع صاحب كشف الظنون في توضيح هذه المسألة فقال: إن العلوم الآلية، لا تُوسع فيها الأنظارُ، وذلك لأن العلوم المتداولة على صنفين: علوم مقصودة بالذات، كالشرعيات والحكميات، وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم، كالعربية، والمنطق.

وأما المقاصد: فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفريع المسائل، واستكشاف الأدلة، فإن ذلك يزيد طالبَها تمكنا في ملكته، وأما العلوم الآلية فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة للغير، ولا يوسع فيها الكلام، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على مِلكتها بسبب طولها، وكثرة فروعها، وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر، وشغلا بما لا يعني، وهذا كما فعله المتأخرون في النحو، والمنطق، وأصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها، نقلا واستدلالا، وأكثروا من التفاريع والمسائل، بما أخرجها من كونها آلة، وصيرها مقصودة بذاتها، فيكون لأجل ذلك لغوا، ومضرا بالمتعلمين، لاهتمامهم بهذه الآلات أكثر من المقصود.[17]

المطلب الخامس: مدى تأثر حاجي خليفة في تصنيف العلوم من طاش كبري زاده

ظهر في عهد الدولة العثمانية طبقه من العلماء الموسوعيين؛ الذين اهتموا بدراسة كافة أنواع العلوم والفنون المتاحة وأحاطوا بمجملها ثم شرعوا في التعريف بها وتصنيفها، وكان من هؤلاء البارزين طاش كبري زاده، ثم جاء بعده حاجي خليفة.

فإن حاجي خليفة رحمه الله تعالى لم يتميز بالاستقلال البارز بما لم يسبق إليه في تعريف العلوم وتصنيفها، حيث سبقه في هذا الفن طاش كبري زاده في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم».[18]

وكان تأثر حاجي خليفة بكتاب مفتاح السعادة لطاش كبري زاده واضحا، حيث إن مفتاح السعادة كان أصلا لحاجي خليفة، ونرى ذلك في الكشف كثيرا حينما كان يصرح باسم طاش كبري زاده مع اسم كتابه في تعريف العلوم وتصنيفها، وعلى سبيل المثال يقول حاجي خليفة:

أ. علم الأنساب، وهو علم يتعرف منه أنساب الناس، وقواعده: الكلية والجزئية. والغرض منه: الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص.

وهو: علم عظيم النفع، جليل القدر، أشار الكتاب العظيم في {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[19] إلى تفهمه، وحث الرسول الكريم في: «تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ»[20] على تعلمه.

17 حاجي خليفة، كشف الظنون، 50/1.
18 تأيف أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبري زاده.
19 سورة الحجرات، جزء من الآية: 13.
20 الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (1/ 166)؛ البخاري، محمد بن الأدب المفرد، 1/42.

والعرب قد اعتنى في ضبط نسبه، إلى أن كثر أهل الإسلام، واختلط أنسابهم بالأعجام، فتعذر ضبطه بالآباء، فانتسب كل مجهول النسب إلى بلده، أو حرفته، أو نحو ذلك، حتى غلب هذا النوع.

وهذا العلم من زياداتي على: (مفتاح السعادة) [21]، والعجب من ذلك الفاضل، كيف غفل عنه؟ مع أنه علم مشهور، طويل الذيل، وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة.[22].

علم البنكامات، يعني الصورة والأشكال المصنوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية، فإذا هو علم: يعرف به كيفية اتخاذ آلات، يقدر بها الزمان.

وموضوعه: حركات مخصوصة في أجسام مخصوصة تنقضي بقطع مسافات مخصوصة.

وغايته: معرفة أوقات الصلوات وغيرها، من غير ملاحظة حركات الكواكب...

وانقسمت البنكامات: إلى الرملية، وليس فيها كثير طائل، وإلى بنكامات الماء، وهي: أصناف، ولا طائل فيها أيضا، وإلى بنكامات دورية، معمولة بالدواليب، يدير بعضها بعضا.

وهذا العلم: من زياداتي على (مفتاح السعادة)، فإن ذكره صاحبه من أنه: علم آلات الساعة، ليس كما ينبغي، فتأمل.[23]

إن حاجي خليفة في مقدمة كشف الظنون نحى منحى طاش كبري زاده، وأخذ منه كثيرا إلا أنه زاد عليه في تعريف بعض العلوم كما رأينا في المثالين السابقين، أو قدم شيئا على آخر، أو رجح من بين الأقوال، ولا شك أن كل ذلك يكسب قيمة علمية ملموسة لكتاب كشف الظنون.

هذا، ومن ناحية أخرى نرى أن حاجي خليفة يعلق على ما جاء في كتاب طاش كبري زاده ويبرر ما يرى تبريره تجاهه حيث يقول:

فيكون جميع ما ذكره طاش كبري زاده من العلوم المتعلقة بطريق النظر: ثلاثمائة وخمسة علوم.

ثم إنه جعل الطرف الثاني من كتابه في بيان العلوم المتعلقة بالتصفية، التي هي ثمرة العمل بالعلم، فلخص فيه كتاب (الإحياء) للإمام الغزالي، ولم يذكر علم التصوف.

فلله دره في الغوص على بحار العلوم، وإبراز دررها.

فإن قيل: إنه قصد تكثير أنواع العلوم، فأورد في فروعها ما أورد، كذكره في فروع علم التفسير، ما ذكره السيوطي في الإتقان من الأنواع، وهلا يرد عليه أنه إن أراد بالفروع: المقاصد

21 طاش كبري زاده،
22 حاجي خليفة، كشف الظنون، 178/1.
23 حاجي خليفة، كشف الظنون، 255/1.

للعلم، فعلم الطب مثلا يصل إلى ألوف من العلوم، وإن أراد ما أُفرد بالتدوين فلم يستوعب الأقسام في كثير من المباحث التي أفردت بالتدوين، وقد أخل بذكرها، على أنه أدخل في فروع علم ما ليس منه.

قلت: نعم يرد، لكن الجواد قد يكبو، والفتى قد يصبو، ولا يعد إلا هفوات العارف، ويدخل الزيوف على أعلى الصيارف، ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب لا سيما الطويلةِ، سهل بالنسبة إلى تأليفها ووضعِها وترصيفها، كما يشاهَد في الأبنية العظيمة، والهياكل القديمة، حيث يعترض على بانيها من عُري في فنه عن القوى والقدر، بحيث لا يَقدر على وضع حجر على حجر.»

ثم يبرر نفسه إن وقع منه ما وقع من طاش كبري زاده ويقول:

هذا جوابي عما يرد على كتابي أيضا، وقد كتب أستاذ البلغاء، القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني، معتذرا عن كلام استدركه عليه: إنه قد وقع لي شيء، وما أدري أ وقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر، هذا اعتذار قليل المقدار عن جميع الإيرادات والأنظار إجمالا، وأما التفصيل فسيأتي في موضع كل علم، مع توجيهه بإنصاف وحلم، وربما زيد على ما ذكره من العلوم على طريق الاستدراك، بتمكين مانح القريحة والذهن الدرّاك.[24]

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أن حاجي خليفة كما تأثر بطاش كبري زاده أثر في أبي الطيب محمد صديق خان القنوجي تأثيرا كبيرا في كتابه «أبجد العلوم»، حيث إن معلوماته في تعريف العلوم وتصنيفها كأنها طبق الأصل من كتاب حاجي خليفة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث تبين لنا أن كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة موسوعة كبيرة احتوت على المصطلحات الخاصة بالعلوم المعروفة حتى عهده، فحاول حاجي خليفة رحمه الله تعالى تصنيف العلوم أو معظمها بقدر طاقته البشرية، لكنه لم ينهها، إذ الوسائل في عصره لم تكن متوفرة كما هي حال استخدام الوسائل الآن.

ولاحظنا أن حاجي خليفة رحمه الله قد استفاد من طاش كبري زاده في تعريف موضوعات العلوم وتصنيفها وتبويبها استفادة كبيرة، وأضاف أحيانا أشياء غير موجودة في مفتاح السعادة، وقام رحمه الله بتصنيف العلوم باعتبارات مختلفة مثل شرعية وغير شرعية؛ نظرية وعلمية، وكما

24 حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 14/1؛ القنوجي، **أبجد العلوم**، 52/1.

لاحظنا أيضا أن حاجي خليفة كما تأثر بطاش كبري زاده أثر في أبي الطيب محمد صديق خان القنوجي تأثيرا كبيرا في كتابه «أبجد العلوم»، حيث إن معلوماته في تعريف العلوم وتصنيفها كأنها طبق الأصل من كتاب حاجي خليفة.

ومما اتضح لنا أيضا من خلال هذا البحث أن حاجي خليفة كان مؤدبا لمن سبقه حيث يقول استدراكا على طاش كبري زاده: « وأما التفصيل فسيأتي في موضع كل علم، مع توجيهه بإنصاف وحلم، وربما زيد على ما ذكره من العلوم على طريق الاستدراك، بتمكين مانح القريحة والذهن الدرّاك».

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

BİBLİYOGRAFYA

Kur'ân-ı Kerîm.

Amidî, Ali b. Muhammed, *el-İhkâm Fî Usûli'l-Ahkâm*, el-mektebu'l-İslâmî, Beyrût, Tarihsiz.

Buharî, Muhammed b. İsmail, *el-Edebu'l-Müfred*, Mektebetü'l-Mearif Li'n-Neşri ve't-Tevzi, Riyad 1998.

İbn Faris, Ebu'l-Hüseyn, Ahmed b. Faris, *Mu'cemu Mekâyisi'l-Lügati*, Tahk. Abdusselam Harun, Daru'l-Fikr, Beyrut 1979.

Feyyûmî, Ebu'l-Abbas, Ahmed b. Muhammed, *el-Misbâhu'l-Munîr Fî Garîbi'ş-Şerhi'l-Kebir*, el-Mektebetü'l-İlmiyye, Tarihsiz.

Gazâlî, Ebû Hamid, Muhammed b. Muhammed, *el-Mustaşfa*, Daru'l-Kütubi'l-İlmiyye, Beyrût, 1993.

Hacı Halife, Mustafa b. Abdullah (Katip Çelebi), *Keşfu'z-Zünûn An Esamî'l-Kütüb Ve'l-Fünûn, Mektebetü'l-Müsenna*, Bağdad 1942.

Hakim, Muhammed b. Abdullah, *el-Müstedrek Ala's-Sahîheyn*, Tahk. Mustafa Abdulkadir Ata, Daru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut 1990.

Kinnevcî, Ebu't-Tayyib, Muhammed Sıddık Han, *Ebcedu'l-Ulûm*, Daru İbn Hazm, Beyrut 2002.

İbn Manzûr, Ebu'l-Fadl, Muhammed b. Mukerrem, *Lisanu'l-Arab*, Daru Sadır, Beyrût, 1414H.

Mecmeu'l-Lügati'l-Arabiyye, Ahmed ez-Zeyyat, Hamid Abdulkadir, Muhammed Neccar, *el-Mucemu'l-Vasîd*, Daru'd-Dave, Kahire, Tarihsiz.

Râzî, Fahruddin, Muhammed b. Ömer, *Mefâtîhu'l Gayb (et-Tefsîru'l-Kebîr)*, Dâru İhyai't-Türâsi'l-Arabî, Beyrût, 1420H.

Süyûtî, Celâluddîn, *el-İtkan fi Ulûmi'l-Kur'ân*, (thk. Ebû'l Fadl, Muhammed İbrahim), Dâru't Türâs, Kahire, 1974.

Taşköprü-Zâde, Ahmed b. Mustafa, *Miftâh-üs-Seâde ve Misbâh-üs-Siyâde fi Mevduât-ul-Ulûm*, Dâru'l-Kütubi'l-İlmiyye, 1985.